الحثيين لم يلبثوا ان غلبوهم عليها ثانية ومن الادلة على ذلك ان ارواد اغاثتهم على رعمسيس في واقعة قدس . ورجوع رعمسيس بعد هذه الواقعة والمعاهدة التي ابرمها مع الحثيين في السنة العشرين لملكه يفيدان انهُ اخلى سورية كلها ما عدا جنوب فلسطين . ولما ملك رعمسيس الثالث لحق فلسطين كلها بباقي اقسام سورية ولم يتوطد لمصر سلطان فيها بعد ذلك رغماً عن كثرة غزوات الفراعنة لها وتعرضهم لشؤونها السياسية

كشافة الاولاد

تمهيد

جرى البحث امامنا مرةً في كتب التعليم الحديثة ولاسيما كتب تعليم الصرف والنحو وما فيها من البسط والتسهيل على الطلبة في جنب الكتب القديمة كشرح ابن عقيل على الفية ابن مالك فكان رأي الشيوخ من الحضور ان هذا البسط وهذا التسهيل قد يختصر بهما الوقت ولكن لا تشحذ بهما الاذهان ولا تقوى الملكات لان الاذهان تشحذ بمحاولة حل المشاكل والملكات تقوى بالمران والممارسة وان ارباب الاقلام من اهل هذا الجيل الذين درسوا الكتب الحديثة السهلة المأخذ ليسوا اكتب من الذين درسوا الكتب القديمة القليلة البسط ولعلَّ هذا هو الصواب . ونحن اذا متنا ثم بعثنا لا نختار للتعلُّم غير الطريق الذي سرنا فيهِ على وعورته . فقد كنا نبتاع المطبوع من الكتب القديمة ونستنسخ غير المطبوع ولا نستعين بغير الدرس وامعان النظر والتمرُّن على البحث والانشاء وتحدي ارباب الاقلام . والانسان يتعلَّم بالعمل واهمُّ اصلاح تحتاج اليهِ المدارس ويحتاج اليهِ التعليم بنوع عام ان يربَّى الاولاد على العمل ولا داعي لترغيبهم فيهِ لانهم يميلون اليهِ بالطبع ولا ينصرفون عنهُ الاَّ قسراً . ويظهر لنا ان اسلوب كشافة الاولاد هو من هذا القبيل

المراد بكشافة الاولاد

يراد بالكشَّافة الجنود الذين يرسلون امام الطلائع ليرتادوا البلاد ويكتشفوا مواقع الاعداء . وبكشَّافة الاولاد نظاماً جديداً شاع في اوربا واميركا حتى وصل هذا القطر وهو جمع الاولاد في جمعية تبث في نفوسهم الهمَّة والنشاط وطلب المعالي والترفع عن الدنايا والسفاسف وذلك بتدريبهم على الانتباه والملاحظة واكتشاف المجهولات من المعلومات

واستخراج النتائج من المقدمات . وبقال ان اول من انشأ هذه الجمعية هو الجنرال بادن بول الانكليزي . تجد ذلك مسطوراً في اكثر الكتب التي ذكرت هذه الجمعية لكن الجنرال بادن بول نفسهُ كتب في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في شهر اغسطس سنة ١٩١١ ينفي كونهُ المبتدع لهذا النظام وقال ان مبتدعهُ غير معروف لقدمهِ فقد وجدت كشافة الاولاد في ارلندا منذ الف سنة فان الفتيان من فرسان الفرع الاحمر كانوا يحلفون على اتباع سبل المروءة والشهامة بل ان تربية الفتيان في كل العصور كانت جارية هذا المجرى

الغرض من كشافة الاولاد

ان المدنية الحاضرة تضعف مزايا الرجليَّة في الرجل لانها تسهّل عليهِ اسباب المعيشة وتكفيهِ مؤونة التعب والنصب فاذا عطش هو وعيالهُ وطلبوا الماء لم يضطروا ان يستنبطوهُ من بئر يحفرونها او ان يستقوهُ بجرة من ينبوع بعيد عنهم بل غاية ما يُطلب منهم للحصول عليهِ ان يفتحوا حنفية في بيتهم او في كل غرفة من غرفهِ فينصب منها الماء الزلال وقد ينصبُّ مبرداً صيفاً وسخناً شتاء . واذا ارادوا الانتقال من مكان الى آخر لم يضطروا ان يمشوا على ارجلهم بل وجدوا امامهم الترامواي في اكثر المدن الكبيرة ينقلهم من طرف المدينة الواحد الى الطرف الآخر بالكافه من الاجرة

وسهولة المعيشة هذه قد اضعفت العزائم وثبطت الهمم ولولا الذين ينشأون في بيوت الفقر ويضطرون الى العمل والكدح لما وجدت البلاد رجالاً يقومون مقام من تقدمهم من ذوي الوجاهة . ولكن الامم الراقية رأت ان تداوي داء الرفاهة وداء الكسل وطلب الراحة والاستسلام للضعف بان تربي فتيانها على العمل ومغالبة مصاعب الطبيعة سواء كانوا من اهل السعة او من اهل الفاقة وتبث في نفوسهم ثلاث خلال جوهرية وهي الاستقلال والمهارة في العمل والاهتمام بالمصالح العمومية وهذه هي الاغراض التي تطلب من نظام كشّافة الاولاد

(١) الاستقلال — قال الجنرال بادن بول اننا نعطي وساماً للفتى الذي سنهُ بين ١١ و ١٨ اذا جاز الامتحان في طبخ طعامهِ وفي استطاعتهِ على المعيشة وحدهُ في خيمة والاهتداء الى طريقهِ بواسطة خريطة اوحك (بوصلة) او بواسطة النجوم واقتفاء الآثار واستعمال الفاس والمجذاف والسباحة والاسعاف وفي اعتنائهِ بصحة جسمهِ ونظافتهِ وترفعهِ عن الدنايا ومحافظتهِ على الشرف والناموس والقيام بما يطلب منهُ . ولا يعطى الوسام لمن توفرت فيهِ هذه المزايا الاَّ اذا كان لهُ شيء من النقود في صندوق التوفير ولو شلن

(٢) المهارة في العمل — يعطى الوسام بكل فتى جاز الامتحان في الاعمال التي يحتاج

اليها اذا اضطرّ الى طلب المعيشة بها او دخل بلاداً لم يجد فيها من يستخدمهُ كالفلاحة والفلاحة والهندسة والتصوير وهمّ جرّا الى اربعين حرفة . وقد تمرّن كشافة الاولاد في انكلترا هذه الحرف وجاز ١٤٠٠٠٠ منهم الامتحان كلٌّ في ثلاث حرف منها

(٣) الاهتمام بالمصالح العمومية — يرسخ في اذهان الاولاد انهُ يجب على كلٍّ منهم ان يعمل عملاً نافعاً كل يوم لاحد من الناس ويتمرّنون كيف يساعدون من تصيبهُ مصيبة مهما كانت حتى يكونوا مستيقظين دائماً كأنهم حرّاس قائمون لاسعاف الغير سواء كانوا لابسين الثياب التي يمتازون بها او لابسين ثيابهم العادية . والغالب انهم ينقسمون الى فرق فرقة تتمرّن على اسعاف الذين تحرق بيوتهم وفرقة على اسعاف الذين يغرقون او يخشى عليهم من الغرق وفرقة على اسعاف الذين تصدمهم المركبات او يقعون من المباني العالية او نحو ذلك من الحوادث التي تقضي باسعاف من يصاب بها حالاً

والتعليم ليس بالكتب ولا بالخطب بل بالالعاب والمناظرات والمسابقات . قال الجنرال بادن بول اذا اردنا ان نعلم الاولاد التجذيف في التوارب وتمرّنهم عليهِ لم نطرق ذلك بتعليمهم قواعد التجذيف في الكتب بل وضعناهم في قاربين ورمينا خشبة كبيرة في البحر على بعد واحد منها وحثثنا انهاحوت وطلبنا منهم ان يتسابقوا في التجذيف اليها واصطيادها بالحراب كما يفعل صيادو الحيتان . والقارب الذي يتمكن من اصطيادها وتخليصها من الآخر هو الفائز فيتسابقون ويتبارون وقد يصل القاربان الى هذا الحوت الخشبي في وقت واحد او يصل احدهما بعد الآخر ويرشقانهِ بالحراب ويحاول كلٌّ منهما اجتذابهُ فيقع بينهما العراك والنضال الى ان يستتب الفوز لاحدهما على الاخر . ولا بد من ان ينتج عن هذه المباراة تمرّن كثير على التجذيف مصحوباً بشدة طلب التفوّق والفوز هذا مثل من امثلة كثيرة . ولا يتقن الانسان عملاً مثل عمل يرغب فيهِ و ينبسط لهُ

وتُعنى في نفوس الاولاد ملكة الشعور بالواجب وبانهُ يُطلب منهم كثيراً ان مصالح بلادهم موكولة اليهم وموقوفة عليهم . والغالب انهم يشعرون بهذه المسؤولية و يبدو منهم ما يدلُّ على انهم محل للثقة التي وضعت فيهم و يعكفون على ما يطلب منهم من تلقاء انفسهم من غير مرغّب آخر

ثم اورد الجنرال بادن بول اقوال بعض المشاهير في كشافة الاولاد . من ذلك قول العلاّمة كارل بيرسن في كتابهِ « حياة الامة من قبيل العلم »

« ان ما نحتاج اليهِ الآن كامّة على ما يظهر هو الاستكشاف فان نجاح التعليم الصناعي

في المائة مبني على نسبة مقدرتها في تخريج الكشافة المتمرنين : اي الذين يكتشفون المخبآت او يستدلون مما يُرى على ما لا يرى . ونحن قد ابتدأنا في انشاء المدارس الصناعية ولكنني اخاف من ان هذه المدارس غير مهتمة الاهتمام الواجب بالاستكشاف اي تعليم التلامذة كيف يراقبون ويستدلون مما يرونه فان ذلك غير تعلّم القواعد النحوية وتطبيقها وغير تعلّم الاساليب الصناعية والعمل بها

« وكيف وجّهت نظرك تجد هذا الافتقار الى الكشافة المتمرنين على الاستكشاف فاننا مفتقرون اليهم في المناصب السياسية لكي تبقى ايديهم على نبض الامم الاخرى . مفتقرون اليهم في ارتياد البلدان الجديدة لكي يخبرونا عما فيها من المتاجر ومواد الطعام . مفتقرون اليهم اشد الافتقار في صناعتنا ليخبرونا ماذا يجب علينا ان نصنع والى اين نرسل مصنوعاتنا وكيف نرسلها ولهذا السبب عينه نحن مفتقرون اليهم في تجارتنا . وبالاختصار اننا مفتقرون الى الكشافة في كل مصالح امتنا

« ولا بدّ للكشّاف من ان يتأهب للعمل بالعلم العملي ولكن ليس هذا هو الغرض الذي ارمي اليه واوجهه وانما غرضي ان يتمرّن عقله على الملاحظة والاستدلال »

وقال ارنلد هويت في كتابه آراء قانوك

« يراد بالاستكشاف ملاحظة ما يرى في الجبال والوهاد والبحار . وشعار الكشاف كن متيقظاً لكل شيء وهذا علم جزيل تفتقر اليه انكلترا اشد الافتقار وهو اكثر من دواء للعقل واكثر من تمرين للجسد . يجعل المرء يعتمد على نفسه ولا يعتدّ بها ويعلّم الاولاد ان يكونوا رجالاً من غير دعوى واهل ديانة من غير تنطّع »

وقال احد نظار المدارس

« لقد وجدنا نظام الكشافة في المدارس التجهيزية مفيداً جداً في غرس مكارم الاخلاق في الفتيان . والمعلم الذي شرع في تنظيم فرقة الكشّافة عندنا توفي فجأة لسوء الطالع ولكنهُ ادخل نظام الكشافة لاعتقاده ان منهُ فائدة ادبية كبيرة وقد امتحنهُ امتحاناً دقيقاً فوجد نتائجهُ مفيدة جداً ولو كان الآن حيّاً لاطنب في مدحهِ غاية الاطناب

« وعندي ان لنظام الكشافة فائدة كبيرة من حيث ترويض الجسم والعقل ويمكن تنويعهُ قليلاً وجعلهُ اسلوباً من اساليب التعليم والتهذيب »

هذا والغرض الحقيقي من التعليم في المدارس ليس افراغ المعارف في الذهن على لزومها

لهُ بل ترويض الذهن لكي يعرف كيف يستعمل تلك المعارف او كيف يلاحظ ويفكر ويطبق العقل على العمل

وقال ناظر آخر

« ان النتائج التي وصلنا اليها بعد ادخال نظام الكشافة شهراً واحداً عظيمة جداً في بعض الامور فقد بدت على محيَّا الاولاد ملامح البشر والسرور اكثر مما كانت تبدو قبلاً وزادت رغبتهم وبهجتهم وزادوا انفةً وشمماً . واقول ولا ابالغ اننا لم نعرف هنا اسلوباً افاد ما افاد نظام الكشافة لقد حمَّلت الاولاد كل ما امكن تحميلهم اياهُ من المسؤولية فرأيتهم قد قاموا باعبائها . وقد قال لي معلوم انهم رأوا التلامذة قد صاروا غير ما كانوا عليهِ منذ شهر كأنهم بُدلوا بغيرهم . وقالت مديرة غرف النوم ان اهتمام التلامذة بترتيب ثيابهم وامرتهم تضاعف عمَّا كان قبلاً . ونحن لا نجيز للتلامذة ان يلبسوا ثياب الكشافة الرسمي الاَّ بعد ما يجتازون الامتحان في الفرقة الثانية وعندي ان هذا من جملة وسائل الحض والترغيب . ولا شبهة انهُ يسهل ادخال نظام الكشافة في كل المدارس ولا يلبث ان يدخل حتى ينتشر من نفسهِ بين الاولاد . وقد دلَّني اختبار شهر على ان التدقيق رائد النجاح في هذا الامر كما هو في غيرهِ ولا شيءٌ يؤثر في ذهن الولد مثل ان يرى معلم الاستكشاف مهتماً بالامر مدققاً فيهِ »

وكتب ناظر مدرسة من المدارس الثانوية يقول

« اني اكتب لاعرب عن سروري بما اراهُ من التحسُّن في هيئة التلامذة وسلوكهم وسبب ذلك ان كثيرين منهم انتظموا في سلك الكشافة »

وكتب ناظر آخر الى الجنرال بادن بول يقول

لا اظن انك تود ان ينحصر هذا النظام في اولاد الطبقة العليا ولو كان هذا غرضك حينما وضعت هذا النظام ولا يراد بهِ ان يكون محصوراً في طبقة من الناس دون غيرها فانهُ يجب ان لا يكون فارق بين الفتيان لا في لسنهم ولا في حبهم لوطنهم ولا في خدمتهم لبلادهم ولو صحَّ ان يوجد هذا الفارق في مطالب أخرى . بل يجب على اولاد السراة ان يتربوا ويتدربوا على اليقظة والانتباه والعمل كاولاد السوقة وان تنبه فيهم كلهم الغيرة والحمية البيتيتين على حب الوطن وتقديم المصلحة العامَّة على المصلحة الخاصَّة وان ذلك فوق الاحزاب . ويجب ايضاً ان تبقى الزعامة لاولاد السراة لا لانهم افضل من غيرهم او لان لهم امتيازاً طبيعياً على غيرهم بل لان سعتهم المالية سهَّلت عليهم تحصيل العلوم والفنون فيجب عليهم ان يخدموا

بعلومهم وفنونهم اخواتهم الذين لم يتيسَّر لهم ان ينالوا ما نالوا هم . ويجب ان لا تكون هذه الخدمة من قبيل ما يتكرَّم به الاغنياء على الفقراء بل من قبيل الاشتراك الاخوي كابناء وطن واحد . فان اولاد السوقة كاميرة انفسهم يحتاجون الى هذا الاخاء وهذه الزعامة ولذلك فكل ما يقوّي هذا الشعور بوجوب خدمة الوطن هو من الزم اللوازم في هذا العصر

« والافكار مصروفة الآن الى الاهتمام باولاد الفقراء حتى صرنا نخشى ان يهمل اولاد الاغنياء مع انهم يجب ان يكونوا مستيقظين متأهبين للعمل مثل اولاد الفقراء اذا ارادوا ان يُعطَوا المناصب العالية عن استحقاق

« ويرى نظار المدارس التجهيزية انهُ اذا أُدخل هذا النظام في مدارسهم وانتظم فيهِ التلامذة وهم في السن المناسب الى ان يبلغ عمرهم ١٣ سنة او ١٤ سنة افادهم جدًّا حينما يدخلون المدارس العليا ويخرجون الى معاطاة الاعمال في العالم فانهم ينظّمون فرق كشافة الاولاد في قراهم ويكونون بمثابة الضباط لهم »

وقد انتشر نظام كشافة الاولاد الآن في كل الممالك والبلدان ووصل الى البلاد العثمانية والقطر المصري واهتم بهِ كبار رجال الحكومة والدين في يدهم زمام الامور كما ترى من المقالة السابقة عن نهضة فرنسا وتفوقها فعسى ان يصير لهُ عندنا الشأن الذي صارلهُ في اوربا واميركا وان لا يُقتصر فيهِ على تلامذة المدارس بل يضم تحت لوائهِ كل الاولاد الذين يجولون في الازقة والشوارع من غير عمل مخصوص او الذين لا تسمح لهم احوال والديهم المالية بدخول المدارس . فان تربية الولد على الانتباه والملاحظة والاستدلال هي الخطة الطبيعية لظهور الرجال وارتقاء الامم وبها اكتشف الانسان اساليب الحضارة المختلفة من قديم الزمان قبلما وُجدت الكتب والمدارس واليها يجب الرجوع دائمًا مهما تنوَّعت طُرُق المعيشة وبغيرها يكون التعليم في المدارس عقيمًا او لا يجدي النفع المطلوب

لكنَّ شيوع نظام الاستكشاف عندنا يستلزم ان يتبرع لهُ اناس محبون لوطنهم متفانون في خدمتهِ لا يسألون عن اجر ولا شكور كالجنرال بادن بول المذكور آنفًا . ومتى شاع وكثر الاولاد المنتظمون فيهِ تغير شأن المدارس والتعلُّم وبدت دلائل نجاح يفوق النجاح الحالي كثيراً